

نزهة في مروج الباطن

ألفية ابن الجيل

نظم

محمود عباس مسعود



إهداء

إلى المتعطشين
لماء الحياة ونفحات الخلود
أهدي هذه الألفية



بِسْمِ الْإِلَهِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَمَنْ هُوَ فِي الْكُونِ خَيْرُ مُسْتَنْدٍ

يَمْنَحُنَا الْعَوْنَ الَّذِي نَحْتَاجُهُ
وَيُوقِدُ أَمَانَنَا سِرَاجَهُ

إِنْ دَعَوْنَاهُ يَسْمَعُ دُعَاءَنَا
وَإِنْ أَتَيْنَا بَابَهُ يَفْتَحُ لَنَا

فَاتِنَةُ الْأَكْرَمِ فِي عَطَانِهِ
إِنْ (الْوَهَّابِ) أَحَدُ أَسْمَائِهِ

وَنَرْفَعُ تَحِيَةً لِلْأَنْبِيَاءِ
وَمِثْلَهَا لِلْأَوْلِيَاءِ الْأَصْفِيَاءِ

نَفْتَعُنَا الْقَدِيرُ مِنْ حُضُورِهِمْ
وَعَرَسَ فِي حَقْلِنَا بِذُورِهِمْ

وَلِيَرْحَمِ الرَّحِيمُ كُلَّ مَنْ تَرَكَ
أَحْبَابَهُ فِي الْأَرْضِ وَسَطَ الْمَعْتَرِكِ

وَهَاجَرَ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ
فَلَهُ مِنْا التَّحِيَّاتِ الْعَاطِرَةِ

وَبَرَكَاتِ الْبَارِئِ الْخَفِيَّةِ
لِقَارِئِ وَسَامِعِ الْأَلْفِيَّةِ

وَمِنَ النَّاطِمِ أَطْيَبِ الْأَمَانِيِّ
لِلْأَهْلِ لِلْأَحِبَّةِ لِلْخَلَانِ

لِمَنْ لَهُمْ فِي الْقَلْبِ رَكْنٌ دَائِمٌ
فَقَارِبُ الْأَشْوَاقِ دَوْمًا عَائِمٌ

أخصُّ ربيعَ الأردنَ بالسلامِ
من أهلنا وصحبنا الكرامِ

ها قدُ بدأنا بالدعاءِ والسلامِ
والآنَ فلننتقلُ لباقي الكلامِ

يا من تودُّ رؤيةَ الأنوارِ
ومعرفةَ جواهر الأسرارِ

إن كنتَ تهوى نفحةَ العرفانِ
والإقترابَ من حمى الرحمنِ

فابشرْ فقد نظمتها قصيدةً
من ألفِ بيتٍ تحتوي تجديداً

نوعتُها بالوزن والقوافي
سكبتُ فيها منتهى الألفاظِ

ضمختُها بهمسةِ الوجدانِ
محبةً بصحبي وإخواني

ممن يحسونَ بوجدٍ واشتياقُ
للقربِ بالخاطرِ من تلكَ الآفاقِ

لأهلِ شوقِ دُرري ممنوحةً
لا لسواهمُ فلاكننُ صريحا

تخاطبُ قلوبَ من بهم حنينُ
للمعرفةِ الروحيةِ .. للروحِ الأمينِ

أما الذينَ بهم شكٌّ وارتيابُ
لا فائدةٌ لهم من هذا الخطابِ

فليقرأوا في غيره من السطورِ
أقولُ هذا إحتراماً للشعورِ

هذا الكلامُ فقط للتوضيحِ
وعذراً إن فاجأهم تصريحِي

والآن فلنتابع الحديث
عن هذه الألفية الحديثة

فيها نجومٌ من سماء المعرفة
والصدق والإخلاص مع روح الوفا

تأتي إليكم من ورا البحار
مشحونةً بالحب والإكبار

تقريكم يا صحبي سلامي
وتنقل لكم كل احترامي

لقد سمعتُ عن عطشٍ في الناس
لكل ما يروي ظما الإحساس

وحيثني وصلت للينبوع
فكرتُ أن أشرع بالمشروع

فأنقل ماءً نقياً صافياً
يحيوي غذاءً نافعاً مع عافية

من بحر أقطاب العلوم العالية
مكتسباً من العصور الخالية

من مرشدي الروحاني أتاني المدد
والمصدر بالطبع الواحد الأحد

لا أخفي أن قبسي من وهجه
فإنني مكرس في نهجه

فلمن يرغب حقاً بنيل الوطر
وبامتلاك للجواهر والدرر

فالمنجم فيه كنوز نادرة
لكل نفس في الحياة حائرة

تريد أن تحلّ الغاز الوجود
وتنعم بالقرب من روح الودود

فللذين فيهم شوقٌ لِّإِلهٍ
ورغبةٌ للاقترابِ من سماه

يا مرحبا إني لكم يا إخوتي
وروحِي بينكم في ألفتي

فكلُّ بيتٍ يحملُ حيني
وشوقي على مدى السنينِ

في كلِّ يومٍ اطلبُ المولى القديرُ
تشعرُ بفيضٍ من بركاتٍ غزيرُ

واهمسْ له حبا رقيقاً صادقا
وابعثْ له شوقاً عميقاً عابقا

تجدُهُ أقربَ من القريبِ
وأكثرَ وداً من الحبيبِ

إطمعْ به كأشعب الزمانِ
أحبيه كالبحيلِ للرنانِ

حُبُّ المُتيمِّ للحبيبةِ الغاليةُ
حُبُّ الغريقِ للأيدي الحانيةُ

فإن بثنتَ اللهَ شوقاً عارما
يأتي إليك يا ذا النفس الهائمةُ

إن الإلهَ كامنٌ في ذاتك
هيا اكتشفه في صميمِ أعماقك

ولا تفكّرْ أن في الدنيا صدْفُ
فإن فعلتْ فيقيناك من صدْفُ

قد رتبَّ اللهُ لنا هذي الزيارةُ
لنبحثَ عن الذاتِ اختيارا

لكنما الإنسانُ ينسى الغايةُ
ويقعُ فريسةَ الغوايةُ

ويضربُ صفحاً عن التفكيرِ
مع التأملِ في ذاتِ القديرِ

يظن أن نفسه مفصولة
عن مصدرٍ هي به موصولة

فيقترن وعيهُ بالحواسِ
ويلهت ركضاً وراء الناسِ

إن ذكرَ اللهَ فباللسانِ
لكنَّ القلبَ في مكانٍ ثانٍ

والبعضُ صارَ مُلحداً ضليعا
يفخرُ بكفرٍ.. ينكرُ البديعا

كأنه المجرةُ في السماءِ
لا حبةً من رملٍ في الصحراءِ!

طوبى لمن للمولى دوماً يذكرُ
وإن ذكرَ أمامه يستبشرُ

يحيا سعيداً آمناً في ذاته
إذ يتأملُ أروعَ آياته

ثقُ أن مولانا الذي أبدعنا
كانَ وما زالَ دواماً معنا

محبةُ الرحمنِ قوّةٌ مُطلقةٌ
فيها التخلُّصُ من همومِ خانقةٍ

فاحببه حُباً نابعاً من مهجتك
تزدادُ نعمةً.. تتعاضمُ بهجتك

واعلمُ بأن اللهَ ينبوعُ الفرخِ
إن حلَّ في الوجدانِ يهربُ الترخِ

اهمسْ له حُباً عظيماً فانقا
وابعثْ له ودّاً عميقاً صادقاً

يأتيك منه كلُّ خيرٍ مرتجى
تصفو البصيرةُ ويستنيرُ الحجى

من يطلبُ عونَ القديرِ لا سواه
يحصلُ على الفيوضِ من عند الإلهِ

فبحرُهُ يزخرُ بأمواجِ المددِ
والدرُّ في قاعِ المحيطِ لا يُعدُّ

يمنحُ كنوزاً للذي يطلبُهُ
يثقُ بهِ.. يحبهُ.. يعبدُهُ

إن عطاءَ اللهِ من غيرِ حسابٍ
يحققُ المرادَ من دونِ ارتيابٍ

فاحفظهُ في أعماقِكَ ليلَ نهارٍ
خاطبهُ همساً وسينزاحُ الستارُ

بحبنا لله نُحرزُ النقاءَ
ونقتربُ خطوةً من قلبِ السماءِ

صلِّ لهُ يا صاحبي صلِّ لهُ
من عمقِ وجدانِكَ من دونِ سهوِ

واغرسْ بذارِ الشوقِ في حقلِ الفؤادِ
تصبحُ حبيبَ اللهِ ما بينَ العبادِ

ثقْ أن أنظارَهُ عليكِ كلَّ حينٍ
لا يتركُكُ لا يخذلكُ طولَ السنينِ

يشتاقي منكِ دعوةً ودَّيةً
وهمسةً ووردةً نديةً

يا لبيتِكَ يا صاحبي يا لبيتِكَ
تعتبرُ قلبَ الإلهِ بيتَكَ

فتشعرُ بالدفءِ قربَ الخالقِ
ويشرقُ وعيكَ بالبورقِ

وإن نظرتَ الشفقَ عندَ الغروبِ
فأذكرُ في تلكِ اللحظةِ علامَ الغيوبِ

واعلمْ بأنَّ الربَّ ينبوعُ الجمالِ
في البحرِ والبرِّ وهاماتِ التلالِ

لا تجزَعَنَّ من ظروف وصروف
فالمؤمنُ بالحق لا يقهره خوفٌ

كن حازماً.. كن جازماً في المُعترِك
وثقْ بأنَّ اللهَ سوفَ ينصركُ

ويجزلُ لك العطاءَ والثوابَ
وإن قصدتَ بابهُ يأتي الجوابُ

فاللهُ يعطينا بلا حسابٍ
وإن قرعنا يهرعُ للبابِ

يفتحه ثم يقولُ يا هلا
أنتم بييتي هاكمُ شهدَ الحلا

ترشّفوا الرحيقَ بالهناءِ
وانتعشوا بعدَ ذاك العناءِ

مقامكم عندي على الدوامِ
في مأمنٍ من قبضة الأوهامِ

فاستمتعوا بالمجدِ والسعادةِ
واقبلوا من قلبي الودادا

أجل..

فاللهُ لا ينسانا من عطائه
يُرسِلُ غيوثَ الغوثِ من سمائه

يرُدُّ عنا.. يحفظُ أحبائنا
ما دما نؤمنُ بهِ مهما انتابنا

واللهُ يعطي من له يرجو ومن
ينظرُ إليه لا إلى المخلوقِ

يخففُ عنه البلايا والمحنُ
ويبعدُ الشرَّ عن الطريقِ

في قلبه نحياءُ حياةٍ هائلةٍ
وتشعرُ بهِ النفوسُ الهادئةُ

وعندما نحتاجه يُسعفنا
بلمسةٍ فيها العزاء والهنا

والخيرُ يأتينا كغيثٍ منهمرٍ
لا ينقطع مدده طولَ العمرِ

تباركَ الرحمنُ ما أعظمه
هو لنا دوماً كما نحنُ له

وعندما الوقتُ يحينُ للرحيلِ
ينقلنا للتو للبيتِ الأصيلِ

فمن يشعرُ بحبِ اللهِ دوماً
يعشُ سنه في حصنٍ منيعٍ ِ

وإن حادَ عن الدربِ قليلاً
يسارعُ بالرجوعِ إلى المهيعِ

فانشدُ دوماً يا مريدُ
لرب العزِّ بالتحديدُ

قلبي عامرٌ بالإيمانِ
بالذي صاغَ الأكوانِ

منْ خاطري لا يروخُ
هو لي أسمى طموحُ

ذو الجلالِ والإكرامِ
فيه تحقيقُ المرامِ

فيه عزِّي والأمانِ
عندهُ حقي مُصانُ

إذا الأجواءُ اكفهرتْ
وجيوشُ الظلمةِ كرتْ

يأتي من ربي شعاعُ
فيبددُ الخداعُ

فيه روحٌ ويقينُ
وبركاتُ الأمينِ

وشعورٌ بالحضور
ورجاءٌ وسرورٌ

أعرفُ من بحرِ الرحمنِ
تأملُ بالحقائقُ

تحيا دوماً في أمانٍ
تقتربُ من الخالقِ

تتمدّدُ في الأكوانِ
تتخطى العوائقُ

ترتقي نحوَ الجنانِ
بهذا أنا واثقُ

هيا إسعِ جاهداً نحوَ الإلهِ
علكَ تحظى بلقياهِ السعيدِ

وتحسُ باقترابِ من عَلاه
فيصيرُ كلُّ يومٍ مثلَ عيدِ

اهمسُ له فإنته حبيبك..
يا ربُّ إني قد قرعتُ بابك
فافتحْ لأنّي أهدُ أحبابك

فكرْ بقلبك بالإلهِ الأعظمِ
واستبدلِ التنهيدَ بالتبسمِ

وإذا الزمانُ خادعٌ في غيهِ
ألفيتُ في اللهِ صديقاً وإفياً

ينفحكُ حباً خالصاً متجدداً
ويظلُّ تحنانهُ عليكِ ضافياً

فتحسُ أنته لا يفارقُ مهجتكُ
أكنتِ صحياناً أم كنتِ غافياً

وهل سمعتمُ كلماتِ العارفِ
عن التقربِ من أبي اللطائفِ؟

فهذه الأقوال فيها نعمة
طريفة وفيها أيضاً حكمة

لو بغسل الجسمِ الربُّ يُعرَفُ
لغدوتُ قيطساً وسَطَ البحارِ

لو بأكلِ النَّبْتِ حتماً يُدرِكُ
لاتخذتُ شكلاً ماعزٍ بافتخارُ

لو بعدَ المسبحاتِ يظهرُ
كنتُ سبّحتُ بحباتِ كِبَارُ

لو بسجدٍ للنصوبِ يبرُزُ
لأحنيتُ للجبالِ والصخورُ

لو بشربِ اللبنِ يُرتشفُ
لتذوقهُ العجولُ والصغارُ

لو بهجرِ الزوجةِ يُستحضرُ
لاختصي الآلافُ فوراً باختيارُ

كلُّ هذي تعجزُ عن كشفه
لا ولن تقوى على رفعِ الستارُ

يظهرُ الله بشرطٍ واحد:
حبُّ قلبٍ واشتياقٌ مثلُ نارُ

ولدى التفكيرِ بالمولى الحبيبِ
سوف تأتي ومضاتٌ كالشرارُ

فاسقني دوماً من الماءِ القراخِ
واشفِ يا رباهُ ما بي من أوارُ

الدنيا ملأى بالخداعِ
والأنانيةِ والصراعِ

وليسَ من أمنٍ سوى
في الاقترابِ من السميعِ

أحبك من وجداني
من مهجتي والخاطرِ

وبكل لحظة أشتاقك
يا زهر الربى العاطر

وأسعى نحوك دوماً
يحدوني الرجا الزاهر

سألقاك.. سألقاك
إثر تجسدي العابر

هو عندي أسمى غاية
والبداية والنهية

به أعجبت كثيراً
كونه أروع حكاية

هو نبع متجدد
منه تطيب السقاية

هو يحيا في ضميري
وهو رب النوايا

يا مرشدي خذ بيدي
واهمس لي حتى أهتدي

منارتك هي النجاة
ولمستك فيها الحياة

يا سيدي.. يا سندي
أنت النعيم الأبدي

الشمس تشرق كل يوم مرة
لكن حضوره دائم الإشراق

والكون يخضع للزوال إنما
هو الخلود الأبدي الباقي

وروحه يرعى المرید دائما
ويده تحميه من كل أذى

ف فوق ماء الوهم يبقى عانما
مستنشقا إسم الإله كالشذى

عائنة في الناس الذين حولك
في الأهل.. في الأصحاب.. تجده لك

أما التواضع فهو شرط أكيد
هيهات أن تستغي عنه يا مريد

ما أنت إلا قطرة من بحره
لكن في القطرة كل سره

إياك تبسم بسمة التهكم
وليدة كهف الضغينة المظلم

ولا ترحب بابتسام كاللصوص
إذ يسرق صدق النوايا والخلوص

والبسمة الرقطاء فاحذر إذ هي
فيها السموم الناقعة والهاوية

مختبئة خلف افترار ناعم
قتالة للصادح والباغم

واطرذ من النفس براكين الغضب
إذ تطلق دخانها مع اللهب

ولا تعكّر صاح مرآة الفؤاد
بسحنة ناشفة مثل الرماد

والضحك إن حاكى سهيل "الأبجر"
ينبئ عن فهم كليل أعجر

نبع السعادة ينبغي أن ينبج
من تربة العقل الرزين المبتهج

ويبعث الإشعاع مثل الجدول
إلى نفوس تستطيب الجدل

ولتنطق بسماتك نحو السما
لنجمها إذ يعشق التبسما

وليبتسم رب السما من بسمتك
ولينقل البركة من لمستك

ليغمر نفوسَ من هُم حولك
فيفرحوا عندَ سماعِ قولك

وتغبطُ للقربِ من مصدرِكَ
وتشعرُ أنَّ الإلهَ معكُ

اكشفُ عن الإيمانِ في أعماقِك
من حُبِك لله.. من أشواقِك

فاللهُ يعملُ دوماً من خلالِك
يُرشدكُ.. ييسرُ أحوالكُ

وإن سألَت حاجةً يعطيها
وإن طلبتَ غبطةً يسقيها

فتنتشي بفرح الرحمنِ
وتبتهجُ بنعمة الإيمانِ

واعلمُ بأنكُ حقاً روحٌ لا جسدُ
لا تفنى بل تحيا دوماً للأبدُ

تأتي إلى الدنيا وحيداً عارياً
وترجعُ والكفُ منكُ خاويًا

مهما جمعتَ ها هنا من مالٍ
ستتركُ مخزونكُ في الحالِ

أما إذا اكتسبتَ علماً نافعا
فالعلمُ يغدو لكيانِك رافعا

يُدينكُ من مستويات الروحِ
حيثُ النفوسُ تحيا بالأفراحِ

وعشُ حياةً كلها نظافةً
تأتيكُ أرواحٌ بها لطافةً

وانتهجِ الصدقَ في كلِّ حالٍ
فالحقُّ لا يخشى من التسألِ

وقاومُ الوسواسَ والإغراءَ
تكتسبُ العزيمةَ والمروءةَ

سَترجَعُ اللهُ يوماً فانتَهجُ
دربَ الفضيلةِ .. إن فعلتَ تبتَهجُ

وسلّمَ الأمرَ إلى الله الأحدُ
يُنجيكَ من كل المخاوفِ والكمَدُ

ومهما كنتَ خاطئاً يَقبلُكَ
إن قلتَ يا رباهُ إنني لكُ

فاغمُرني بالرحمةِ أيا سيدي
ها قد مددتُ بالرجا لكُ يدي

اللهُ لن يُحرّمكَ من عونهِ
لأنكُ متممٌ لكونهِ

وسوفَ يُرسلُ لكُ أرواحَ السماءِ
كي ينجدوكُ من هُمومِ وعناءِ

إفرحْ فإن الله يُحبُ الفرحَ
فإن كشرتَ فاعتبرهُ قد برحَ

وإن رغبتَ بالسعادةِ الدائمةِ
ففي التأملِ تغدو النفسُ عائمةِ

في أوقيانوسِ الغبطةِ الكونيةِ
حيثُ المراني الرائعةِ السنيةِ

واذكرُ بأن العقلَ .. الروحَ .. والجسدُ
يشدُّهمُ خيطٌ كحبلٍ من مسدُ

فابقِ الجسدَ معافىً من كل سقمِ
واشحنُ قوى العقلِ بنيرانِ الهممِ

وغذِّ شوقَ الروحِ بالتأملِ
لتنتعشُ وبالسرورِ تمتلي

لكلِ شيءٍ سمتهُ وسماتهُ
فاللهُ حاشا أن يكررَ ذاتهُ

والبحثُ عنه يختلفُ بينَ البشرِ
ما من اثنينِ لهما نفسُ الفكرِ

هو الصديقُ الأعظمُ.. لن يتركك
للحظةٍ في العمر.. لا لن يهجرَكَ

فتثقُ به تراه دوماً معَكَ
وكنْ له تجده دائماً لك

وانصتْ لصوتِ الله في السكونِ
تسمعُ صَداه في رحابِ الكونِ

وفي السكينةِ تنبُعُ مياهُ السرورِ
وتغمرُ الإحساسَ بالفيضِ الغزيرِ

فاعلمْ بأنَّ اللهَ كئلهُ فرحُ
ومن يحسُّ بحضوره ينشرحُ

وينهلُ من أكرمِ المنابعِ
ويتصلُّ بأقدسِ المَرباعِ

ويشرقُ النورُ على كيانهِ
ويبصرُ الخالقَ في أكوانهِ

لا بأسَ أن نطلبُ من الوهابِ
تحقيقَ حاجاتِ بلا حسابِ

أما إذا لم يستجبْ في الحالِ
لا يعني هذا رفضاً للسؤالِ

بل قد تكونُ عندهُ هدايا
يريدها لنا مع الهدايةِ

ثقْ أن من أبدعَكَ لن يخذلكَ
ما دُمتَ تؤمنُ أنه حقاً معَكَ

عزَّزْ يقينَكَ بالإلهِ الأكرمِ
واهرعْ إليه في المَلَمَّةِ واحتمِ

تجدُ به حصناً منيعاً في الخطرِ
يحميكُ ويحققُ لك الوطرُ

لا تعتبر أنك خاطئ أو أثم
فجوهرُ الله بكِ حقاً مقيمٌ

أكدُ لنفسك أنك حبيبهُ
واذهبِ إليه دوماً وقرعِ بابهُ

تجدهُ مرحباً بمقدمك
وقائلاً .. إني لكِ.. دوماً معكُ

فقلبهُ يردُّ عليكِ كلَّ ثانيةٍ
وروحهُ دوماً عليكِ حانيةٌ

لكن متى أحببته من قلبك
ستجتنب ما لا يحبُّ ربُّكُ

وتحيا كي ترضيه في أفعالك
وتفحصُ فكرَك مع أقوالكُ

اللهُ لن يتركك دقيقةً
ما دمتِ تؤمنُ أنها الحقيقةُ

أما إذا شككتِ في حضوره
عيناك لن تكتحلَّ بنوره

لا تلقِ بالاً للذي ينكرهُ
بل ابقِ في حضرة من يذكرهُ

من ينكر الله جهولٌ بامتياز
وقد رأينا بعضاً من هذا الطرازُ

مع ذلك نعذرهم لأنهم
ضحيةُ الجهل الذي يسكنهم

من قال أن لا إله في الوجود
يديرُ الظهرَ إلى أنوارِ الودودُ

فيُمضي العمرُ في شكوكِ قاتمةٍ
ونفسهُ المسكينةُ تبقى نائمةً

وعقلهُ يشكو من الجفافِ
إذ يبتعدُ عن مصدرِ الألفافِ

والفكرُ فيهُ يبقى في اضطرابِ
مثل السفينةِ وسطَ العُبابِ

يضربُها موجُ المحيطِ بغضبِ
فترشُحُ وتترشُحُ للعطبِ

أما الذينَ يؤمنونَ بالرحيمِ
لا يفقدوا الإيمانَ حتى في الجحيمِ

ولو أصيبوا يوماً في الصميمِ
قالوا مقبولةٌ من يدِ الكريمِ

كلُّ النفوسِ سواسيةٌ في الجوهرِ
بالرغمِ من تبايناتِ المظهرِ

والفرقُ بينَ المرشدِ والطالبِ
المرشدُ قامَ بجُهدِ الراغبِ

وهامٌ في حبِ الإلهِ الأعظمِ
فأصبحَ إلى السماءِ ينتمي

وبرهنَ لله عن أشواقه
فسكنَ الرحمنُ في أعماقه

فالفكرُ مثلُ المغناطيسِ الجاذبِ
وفعلهُ بالفعلِ كالعجائبِ

يعملُ في الحُبِّ وفي البغضاءِ
ويجتذبُ أصحاباً مع أعداءِ

من فكَّرَ بالطيبينَ يجتذبُ
إليه هولاءَ من دونِ تعبِ

ومن يفكَّرَ بالذي يكرههم
يعيشُ يوماً بالأفكارِ معهم

إن عاثت الضغائنُ في أفكاره
عادَ ليحني الغرسَ مع بذاره

أما الخطيئةُ فهي ما ينسي
الإنسانَ عن ذكرِ الحكيمِ القدسي

والذاكرُ لله أنى يقترفُ
ما ليسَ يسمَحُ باقترافهِ الشرفُ

الكونُ كلُّ الكونِ مسرحيةٌ
وصورٌ واضحةٌ جليةٌ

يُبصرها الوعي الذي لم يستعدْ
وحدته لأنه عنها ابتعدْ

والمتوحدُ صاحبُ الأحوالِ
يبصرُ النورَ من ورا الأشكالِ

تلكَ هي حالاتُ كشفِ فائقةٌ
يعرفها الصوفيةُ العمالقةُ

ولهمُ القدرةُ على الإنطلاقِ
لأي ركنٍ ها هنا أو في الآفاقِ

لكنهم لا يفعلونَ المعجزاتِ
كي يجذبوا الناسَ أوفاً ومثاتِ

فالمعجزةُ الكبرى هي حُبُّ الإلهِ
ومن يُحبُّ اللهَ لا يبغى سواهَ

امتلكِ الإيمانَ وكنْ حذراً
واستعملِ التمييزَ مع كلِّ الورى

فاللهُ قد وهبنا العقولاً
لنبصرَ ونفعلَ المعقولاً

وانتقِ الصحبَ بعنايةٍ وافيةٍ
ولتكنْ النوايا دوماً صافيةً

والإحترامُ بينَ الأصدقاءِ
همزةٌ وصلٍ لدرءِ الجفاءِ

من يتجاوزُ عتباتَ الإحترامِ
يضيَعُ من يدهِ الصحبَ الكرامِ

إن استهزأت بهم أو غاضبتهم
فما هم لك ولا أنت لهم

وإن أردت دوماً ودَّ الطيبين
فكن ودوداً واحترمهم كلَّ حين

العالمُ يغرُسُ بِكِ ضلالةً
ويضعُ في بيدركِ غلالةً

ويزرعُ بذوره في حقلك
ويهمسُ تضليله لعقلك

لكنَّه لن يتكاتف معك
عندَ الحسابِ مهما كانَ وضِعُك

فلا تغالِ بصديقِ زائفِ
مهما رأيتَ فيه من لطائفِ

بل غالِ باللهِ الذي أبدعَكَ
ومنَ إذا ناديتُهُ يسمعُكَ

ويأتي للفورِ إلى نجدتِكَ
ما دمتَ تؤمنُ أنه حصنُكَ

وانثرْ حبوبَ حُبهِ حيثُ تكونُ
واذكرهُ في المحافلِ أو في السكونِ

وامشِ على دربِ المحبةِ نحوهُ
بصحبةٍ من يحملُ الشوقَ له

واحفظهُ في سركِ صباحاً مع مساءٍ
وارفعِ إليه البصرَ نحوَ السماءِ

واقضِ بنخوةٍ حاجةَ المحتاجِ
فقدُ يكونُ هو من تناجي

لا تتعلقِ بنتائجِ العملِ
إن التعلقَ يجلبُ شتى العِللِ

ومن يؤدِّي واجباً يرتاحُ
حتى إذا أخطأهُ النجاحُ

لا يأسف إن أخفق في سعيه
ما دام يؤمن في قرارة وعيه

إن الحياة عملة وجهها
الفوزُ وجهٌ والفشلُ قفاها

فيدرك استحالة فصلِ الفشلِ
عن صنوه النجاحِ في دنيا العملِ

ويرتضي بالواجب إنجازا
فالواجبُ المحورُ والركيزةُ

أما النتيجةُ فلتكن مهما تكن
إبقِ كما أنتَ كبيراً.. لا تهنِ

التجربةُ قد تنهك العزيمةُ
وتوحي للمريدِ بالهزيمةُ

أما إن استجارَ بربِ البشرِ
ينهزمُ الوسواسُ كلمخِ البصرِ

وترجعُ السكينةُ للفؤادِ
وتصبحُ الأيامُ كالأعيادِ

اللهُ يفهمكُ وإن لم يفهمكُ
كلُّ البشرِ.. يواكبكُ.. يبقى معكُ

يرعاكُ بالعطفِ وبالحنانِ
ليشعرَ قلبكُ بالأمانِ

الغيرُ لن يراففوكُ للأبدِ
ومن يراففكُ هو المولى السندُ

الأهلُ والأحبابُ مع كلِّ الرعينِ
لا ينفعوكُ أبداً بعدَ الرحينِ

قد يذرفوا الدمعَ وقد يفتقدوكُ
وفي التآبينِ بالعيونِ يفتدوكُ

لكنَّ بعدَ شهرٍ أو بعدَ شهرٍ
يتابعوا السهراتِ بكلِّ سرورٍ

وتصبحُ يا صاحبي صنو الخيال
حتى ولو خطرت لهم على بال

أما الذي يبقى معك لا يهجرَك
الله من بالبركاتِ يغمركُ

لم يتركك في الأرض ولن يتركك
في عالم الغيب هو دوماً معك

فخصّص الوقت له تشعر به
طوبى لمن يفكرُ بربه

وعندما يحين موعد الفراق
تذهب على الفور إليه باشتياق

لا تتحسّر ولا تشعر بالندم
حيثك للبقاء.. ليس للعدم

هذه الأرض لنا كالمدرسة
رغم ما تحويه من كل الأسى

نترقى فيها نحو الأمثل
لنعين بعدها النور الجلي

إن كبونا فعلينا بالنهوض
مهما كابدنا المتاعب والرضوض

وإذا الأشواك في الدرب نمت
وإذا الهمة في السعي خبت

فالحياة فيها شوك وورود
وبها التثبيط أيضاً والصمود

مثلما فيها الشجن والإبتسام
وارتداد واندفاع للأمام

فلنسر نحو السعادة مسرعين
واضعين الفكر بين الحاجبين

فالجبين مركز الوعي اللطيف
هذه المعلومة للشخص الحصيف

فاحصرُ الفكرَ بقلبِ الجبهةِ
إن تعطشتَ لشربِ الغبطةِ

ولدى النومِ وإطباقِ الجفونِ
حدقَ بالظلمةِ ما خلفَ العيونِ

وعيكُ يمتدُّ نحوَ المطلقِ
وبذاتكُ سوفَ حتماً تلتقي

وارقبُ الأنفاسَ شهيقاً وزفيرُ
يهدأ القلبُ ويرتاح الضميرُ

واغتمضُ أجفانكُ نصفَ الغموضِ
تنتشي النفسُ وينزاح الغموضُ

خفتُ الوجباتِ ما قبلَ المنامِ
حتى ترتاحَ وتبصرَ في المنامِ

من مرأٍ مُبهجةٍ للخاطرِ
وتحسُّ بنشاطٍ غامرِ

وامشِ يوماً لساعةٍ كاملةً
حتى لا تبقى الدماءُ خاملةً

وانهضُ عندَ الفجرِ تشعرُ بالسرورِ
قيلَ أن البركاتِ في البكورِ

وتأملُ خيراً حتى في الوطيسِ
فالتفاؤلُ له فعلُ المغناطيسِ

يجذبُ الخيرَ كذراتِ الحديدِ
التفاؤلُ ها هنا بيتُ القصيدِ!

وابتسمْ يا صاح في وجهِ الهمومِ
غيرَ وجهِ اللهِ لا شيءٌ يدومُ

ولا تناقشْ ملحداً موهوماً
إلا إن كان يبتغي علوماً

وصادقاً في طلبِ الحقيقةِ
لا ليؤكدُ كفرَهُ الصفيقا

فإن وجدت فيه من إخلاصٍ
فقد تساعده على الخلاصِ

من قبضة الكفر المقيت الخائقِ
وتعمل وسيلة للخالقِ

واثبت إذا هبَّ الخداعُ بوجهك
ولتستن عليه باسم ربك

الله غبطة أبدية دائمة
وهو الحكمة في النفوس العالمة

يظهر أمام كل من يهواه
ولا يهيم بشيء سواه

يراه نوراً مالى الوجودِ
يحسنه روحاً بلا قيودِ

يسمعه كصوت أوم الأزلي
فينتشي وبالسرور يمتلي!

والآن هيا نضحك يا رفاقي
فالضحكة دواء للخفاقِ

كان أبو العزمات شريباً محترفاً
يجرع كثيراً، من عواقب لم يخف

وذات يوم قابل حكيماً
تنسم من نفحه السلام

فتاه باللقيا سروراً واعتزم
ألا يذوق الخمر، قال للخدم:

ضعوا النبيذ في سرداب مقفل
وهاكم المفتاح كرمال الولي!

فقط لضيف قدموا السلافة
بحسب ما توحى به الضيافة

(بو العزم) ظلّ ينعم بالسلام
والفرح يقطر من المسامِ

بسبب التصميم ضدّ الشربِ
والغبطةُ في العثورِ على الدربِ

وفترةٌ مرّت ولم يشعرْ بها
لجرعةِ الطلا بأدنى مُشتهى!

فابتسمَ وتمتمَ مؤكداً:
لا عدتُ أحسو المتخمرُ أبداً!

فقد قهرتُ التجربةُ يا فرحي!
لا من ضميري بعد اليومِ أستحي

واستلمَ المفتاحَ للسردابِ
كيما بنفسه يسكبُ للصحابِ

وإذ تذوقَ نكهةَ السعادةِ
قالَ بلغتُ ذروةَ الإرادةِ

لا حاجةٌ أن أذهبَ دواماً للقبو
من أجل جلبِ الراحِ كيما يشربوا

سأضعُ القناني في الخزانةِ
كوني أستمتعُ بالحصانةِ

ومرّاً أسبوعٌ ولا أدنى كدرُ
صاحبنا حكُّ رأسه ثم افترّ:

ما دمتُ أفلتُ من الإغراءِ
للشربِ إصباحاً مع الإمساءِ

فلأنظرُ للمشعشعِ في الزجاجِ
هيهاتِ أن أعلقَ في السياجِ

وهكذا عبأَ دورقاً محترماً
وبات بالتحديقِ فيه مغرماً

وقال إذ أني حصينُ الأمرِ
لا بأسَ أن أنشقُ عبيرَ الخمرِ

بعد انقضاءِ مدةٍ قليلةٍ
جاءَ برأيٍ - هاكم التفصيلاً:

قال لأنني صرتُ فوقَ المُشتهى
ما عدتُ أخشى الراحَ أو أبه لها

لكنما دعني أبرهنُ عزمي
بجرعةٍ أرشفها بقمي

من ثم أفظها على الفور فلا
تلامسُ جوفي ذراتُ الطلا

ففعلَ ما فكتَرَ ثم انتوى
أن يحتسي مما به الكأسُ احتوى

ولم تمرُّ فترةٌ طويلةٌ
حتى وعادَ مدمناً أصيلاً!

سلامة السامعِ مع القارئِ
يحرصُكم من كلِّ أمرٍ طارئِ

اجلبُ إلى عالمك شيئاً جديداً
وخاطبُ الرحمنَ وانشدُ يا مريدُ:

إنني أدركُ حدساً
أنك في الروحِ تسكنُ

وبطياتِ الشعورِ
حبكُ القدسيُّ يكمنُ

قد بحثتُ عنك دهرًا
بين حلمٍ وطموحِ

ليتني ألقاكُ يوماً
وبأشواقِي أبوحُ

فتعالَ من عبيرِ الوردِ
من غورِ الضميرِ

عَلني أبصرُ محياكُ
ومن شوقي أطيُرُ

أنشدُ له من قلبك نشيداً
مردداً أبياتاً هُ ترديداً..

ما كنت يوماً نائياً
يا ساكناً قلبَ الفؤادِ

ما كنت يوماً جافياً
يا فيضَ حبِّ مغٍ وداذٍ

هيهاتَ تسلو من لك
ومن من الدنيا اشتكى

عذراً له إذا بكى
شوقاً وأضناه السهاد!

أنتَ الصديقُ والقريبُ
أنتَ النجى والحبیبُ

الروحُ في قربك تطيبُ
وتحرقُ ثوبَ الحدادِ

في الطفلِ أبصرَكَ ملائِكُ
تختالُ في أحلى حلاكِ

والشمسُ تروي عن بهاكِ
يا هدي من رام السدادِ

عن عيني قد تختفي
وبالسكوتِ تكتفي

لكن خطايَ تكتفي
وتوري في الليل الزنادِ

أنتَ المعرَّدُ في الطيورِ
أنتَ العبيرُ في الزهورِ

وهمسةُ الحبِّ الطهورِ
يذیبُ دَفنُها الجمادِ

أنتَ تسيرُ في الأنامِ
إلى الأعالی والأمامِ

يا حبذا نعطي الزمامِ
لك فتبلغنا المرادِ

لك المحبة والجميل
والشكر صباحاً مع أصين

العين من ذكرك تسيل
فيغمر الدمع السواد

وكن جريئاً جرأة الغضنفر
فبرمهنا أنشد في الظفر:

النجومُ الزهُرُ قد غاصت إلى قلب الظلام
وكذا شمسُ النهارِ المُتعبة ليلاً تنام

وافترارُ البدرِ ولّى وتلاشى بالتمام
وأنا ما زلتُ أمشي واثقاً نحو الأمام

ودولابُ الدهرِ لا يرحمُ ويسحقُ ساخراً
ألفَ شمسٍ.. ألفَ بدرٍ.. ألفَ نجمةٍ زاهرةٍ

ألفَ صبحٍ مُشرقٍ بالابتسام
وأنا ما زلتُ أمشي واثقاً نحو الأمام

فتَحَ الوردُ للحظةٍ عابرةٍ ثم ذَبَلْ
والثمرُ قد أينعَ فصلاً قصيراً واضمحَلْ

ألفَ جبارٍ عنيدٍ قد غدوا صنو العدم
وأنا ما زلتُ أخطو واثقاً نحو الأمام

حَقَبُ الدهرِ تزولُ دونَ أن تتركَ أثرَ
وسهامي نفدتُ وسَطَ الوطيسِ المستعرِ

والحياةُ تتحدّى وتلوح بالآلام
وأنا ما زلتُ أمشي واثقاً نحو الأمام

حاولَ الموتُ مع الظلمةِ وأشباحَ الفشلِ
أن يسدوا الدربَ في وجهي كثيراً كي أضلَّ

إنما إيماني لا يخبو بخلاق الأنام
ولذا أمشي حثيثاً يا رفاقي للأمام!

ما أروعَ الحديثَ عن نورِ العقولِ!
والآن هيا نحتفي بوعي الروحِ فنقول:

يا أيها الوعي الذي يحيا بنا وبه نعيش
أحسك في عمقي وصدري بك يجيش

ما أنت بالنائي ولا مُفصلاً عن مهجتي
وكلما قاربك تزداد عمقاً بهجتي

ما أنت إلا ذاتي، ولست عني بالغريب
لأنك تحيا بي كالنسخ في الغصن الرطيب

وإذا اقتربت خطوةً منك تجيء مهرولاً
نحوي لكيما نلتقي وتطير بي نحو العلى

يا وعي يا نبض الإله الخافق في ذاتي
أنا لك منذ البداية مثلما أنت لي

وأراك في عين البصيرة ماكناً دوماً معي
تشدو لي شدواً رخيماً أو تكفكف أدمعي

وإذا اكفهر الجو أو تلبد بالغيوم
تنثر نجومك في سمائي وفي فضائي تحوم

لا لم تغب عني ولو لثانية لحظة
لأنك تغمرني وبالسعادة منك أحظى

يا همسةً أطلقتها في الكون رب العالمين
ونعمةً علويةً فيها الرجاء واليقين

تشد دوماً أزرنا، تأتي بنا إلى الطريق
لأنك روح الوفاء وهل سواك من صديق!

وأنت الدر الثمين، وإنك كنز الكنوز
من صاحبك يا وعي بالغبطة يفوز

رافقتنا منذ الولادة وستبقى معنا للأبد
حتى لدى ارتحالنا بأمر الواحد الأحد

يا وعي يا قبس الضياء ومبعث كل الهناء
لا العتمة تقدر عليك ولا يحيق بك الفناء

متصل أنت مع الذي أبدعك من نوره
فيك مزاياه العظيمة مع بحار سروره

من يطلبُ خبَرَ الحياةِ لقلبهِ ولعقلهِ
تمنحهُ سؤلُ فؤادهِ، مباركاً بحقلهِ

يا وعي يا صوتَ الضميرِ الحيِّ في الرجلِ الشريفِ
وخفقةَ الوجدانِ والتحنانِ والحسِّ اللطيفِ

من يعرفكُ لا يعرفُ الخديعةَ والإلتواءَ
لأنكُ روحُ الشهامةِ والكرامةِ والإباءِ

من يعرفكُ يمشي بنورِ اللهِ ليلاً مع نهارِ
لا يرهبُ قوى الظلامِ ولا يحيقُ به الدمارُ

فبكُ يعيشُ اللهُ مع ملائكةِ السماءِ
وبكُ انطلقُ النفسِ الطاهرةُ نحو العلاءِ

ونوركُ يهدي إلى الدروبِ المفضيةِ إلى السلامِ
ومن يعيشُ بنوركِ يَأبِي التخندقَ في الظلامِ

يا نعمةَ الأملِ المشعِ وهمسةَ الحبِّ النقي
في بحركِ تحلو السباحةُ ومن مياهاكُ نستقي

وإنكُ تشعُ مثلَ الراديومِ دونَ انقطاعِ
ومن يراكُ يبتهجُ ويأمنُ شرَّ الضياعِ

وتبقى أنتَ الجوهرُ في الكونِ من دونِ فناءِ
لأنكُ منبثقٌ عن مَنْ هو روحُ البقاءِ

يا إلهي، يا رفيقي الأبدى
إنكُ أيقظتني بعد الكرى

قد صحوْتُ وتلاشتُ غفوتي
أيجوزُ أن أنامَ يا ترى!

إنما عدني إذا حلَّ الوسنُ
ستصحِّني بلمحِ البصرِ

إن أهوالَ الحياةِ والمحنِ
كلُّها زالتْ ولا من أثرِ

صارَ حزني عبراتٍ في الجفونِ
إنما دمعُ المسرَّةِ والهناءِ

غبطتي تشتعلُ مثل الأتونِ
وبَيِّ الأقباسُ تسطعُ بالبهاءِ

وشعاعاتكُ تنعشُ فكريَّ
وتحدُّ من شرودٍ أو ركودِ

يا إلهي فتقبَّلْ شكريَّ
كونكُ أيقظتني بعد الرقودِ

ها سكوني يشبهُ الأفقَ الرحيبِ
يتمددُ.. ينطلقُ فوقَ الغيومِ

يتوهجُ غبطةً مثل اللهبِ
يحرقُ الأحزانَ يجتثُ الهمومِ

ويريحُ النفسَ من عبءِ التعبِ
ويداوي القلبَ من كل الكلومِ

فإذا ظلَّ الجزعُ مني اقتربِ
وإذا أوجستُ آثارَ السمومِ

للسكينةُ ألتجئُ حتى أعبُ
لسلسيلِ النشوةِ ثم أعومُ

في مياهِ الأمنِ في بحرِ اليقينِ
راجياً عونَ القديرِ أن يدومِ
وأحسُّ قربَهُ يوماً بيوم!

إن تذكرتَ الإلهَ في الصباحِ
ولدى الظهرِ وإبانَ المساءِ

ستحسُّ بنشاطٍ وانسراحِ
وتحلَّقُ كالنسورِ في الفضاءِ

وستمضي وقتكُ بالإرتياحِ
وتزفُّ كالشذى فوقَ الهواءِ

ثقتُكُ بالخالقِ أمضى سلاحِ
فتدرِّعُ باليقينِ والرجاءِ

إن طلبت الله يُنبوعُ الصلح
تغتني.. بل تمسي أغني الأغنياء

حب الفضيلة وحدها طليقة
ما من سواها حر في الخليقة

ترشدك الصعود للأعالي
إلى ذرى أعلى من الجبال

لو الفضيلة كانت يوماً واهنة
لزارها من السما إلهنا!

والإله بلسان الأنبياء
قال قولاً فيه هدي وضياء

إن من يذكرني أنكره
لا أغيب عنه أو عني يغيب

فيراني ماثلاً في ذاته
ويحس أنني منه قريب

رباه يسرّ وامنح النعمة من الكف السخي
واشحن عزيمة راغب في الله كي لا ترتخي

واغمر كيانه يا مولاي بالضياء المنعش
كيما تقر نفسك ولا تعود تختشي

Face كائنات النور إن كنت عن العين خفية
إنما تعطين للقلب سلاماً أبدياً

عندما الأجفان تدمع
وبحس الروح نضرع

عندما الأقدام تعثر واليقينيات تصغر
دعنا يا ربه نبصر للشعاعات السنية

نحن إذ نمشي دروباً مقفرة
ونرى الجوّ قتيماً مكفراً

نكبو أحياناً وطوراً نتوجع
نتمنى ملجأً للنفسِ فيه تهجع

ليتنا إذ ذاك نسمع
همساتٍ تشجيعيةً

وعلينا النورُ يطلع
من ذرى الروح الخفية

أنتِ يا رباهُ تعلمِ حالنا
وتحققِ إحتياجاتِ لنا

إن تألمنا عليكِ بالعزاء
أو تعطشنا فلا تحرمنا ماءً

وإذا الأسقامُ وافتنا تجودُ بالدواء
مشكلاتُ الناسِ يا ربُّ كثيرةٌ وعصيةٌ
إنما الأكبرُ منها رحمةُ الذاتِ العليةُ

عندما نرنو إلى النورِ البعيدِ
ونحنُ للطمأنينةِ بإيمانٍ وطيئ

أعطِ للروحِ جناحاً كي تطيرُ
علتها تدنو من النورِ وتوأ تستنيرُ

وتحسُ الأمنَ يغمُرُها كأمواجِ المحيطِ
فتميزُ جوهرَ الأشياءِ من بينِ الخليطِ

وتعيشُ العمرَ نشوانةً رضيةً
بابتهاجاتِ عميمةً
وسعادةً سرمديةً

من وخذَ الرحمنَ أضحي موخداً

مترسّخاً في ساحةِ التوحيدِ

طوبى لها من ساحةِ عصريةٍ

مفتوحةٍ للفكرِ والتجديدِ

رحبةً، مُشعٌ بالبورقِ أفقها

لا تخضع للحصر والتقييد

عليائها أبراج سعد نيّرة
والحق فيها مُلك كل مريد
أنسامها حُب رقيق عابق
ونهجها هديّ إلى المعبود
ينبوعها الفيض عذب ماؤه
وثمارها أشهى من العنقود
كنوزها موهوبة للمجتهد
للراغب بالفتح.. بالصعود
أصحابها قوم كرام زانهم
عقل بصير رافض التشديد
لا يعرفون الحقد مهما قوبلوا
بالبغض والشحناء والتنديد
يا روضةً فوق الفراقد والسهي:
روح الضمان راحة الأكباد
سقياً لك ولمائك وسمائك
يا واحدةً للرائح والغادي
الشمس فوقك تسطع، والحب فيك يرتع
والأمن مبذول لكل فؤاد
أركانك قد رصعتها معارف
والصدق بين ذويك خير مُناد
أبوابك مفتوحة، علومك ممنوحة
أزهارك فوّاحة، بنفحة الإرشاد
يا ساحة لا تعرف الضيق ولا
تكفّر أياً من العباد
بدر المحبة دائماً متألّق
في أفقك يا ساحة التوحيد

ولنحتفِ قليلاً بالتجددِ

نستلهمُ الرحمنَ ثم نبتدي:

باركُ اللهُ التجددُ فيه معنى الإرتقاء
وبه الآفاقُ تمتدُ إلى قلب السماء

فتصيرُ رؤيةُ المرءِ مشعةً كالضياءِ
بالتجددِ يمعنُ الفكرُ صعوداً للعلاء

فبه فتحٌ جديدٌ وبه أنجعُ دواءُ
يُفعمُ النفسَ بتيارِ المروعةِ والإباءِ

وتصيرُ يقظةُ الروحِ وشيكةً لا مرأى
يشحنُ الأعصابَ والهمةُ بعزمِ الكهرباء

يستحثُّ النفسَ كي ترتادَ طياتِ الهواءِ
يملأُ القلبَ بإحساسِ المحبةِ والوفاءِ

يلهمُ خاطرَ تفكيراً سليماً واهتداءً
يقهرُ الخوفَ ويمحقهُ فيغدو كالهباءِ

يفتحُ الأبوابَ نحو الخيرِ من دونِ عناءِ
ويرشُ الذاتَ أفراحاً كشلالاتِ ماءِ

ويدقُّ أوتاداً بأكفانِ البلادةِ والغباءِ
ويهبُ للوجهِ هالاتِ التبسمِ والرضاءِ

ويمزقُ حُجُبَ الجهلِ فنبصرُ بصفاءِ
ويقولُ ابتهجوا وكونوا سعداءِ
باركُ اللهُ التجددِ في الصباحِ والمساءِ!

وبعد ما احتفينا بالتجددِ
ما رأيكم بقصةٍ عن معبدٍ؟

شيدَ البنّاءُ يوماً معبداً
أبرزَ فيه مهارةً وفنوناً

وظلا الجدرانَ تبراً فغدا
بهجةً القلبِ وملتذ العيونُ

وأشادَ الناسُ في فخمِ البنّاءِ
مادحينَ السقفَ منه والعمدُ

قالوا هذا الصرخ لا يعرف فناء
هيكل الباني يدوم للأبد!

وابتنت أم نظير ما أشاد
قدت الأحجار من قلب رقيق

عوض الإبريز جادت بالسواد
من عيون العطف والحب العميق

لم ير الناس جهوداً أو عناء
لم تر العين بما قامت أثر

فبنا الشكران عنها والثناء
للذي لا يستبان بالنظر

معبد البناء ولي وانهدم
وغدا طيفاً بعيداً كالسراب

حسب قد صار في طي العدم
بعدهما تناثر فوق التراب

هيكل الأم يدوم للدهور
لا يدانيه فناء أو لحود

وهنا المقصود من معنى السطور
معبد الطفل المعد للخلود!

الرباعيات

والآن هذي رباعياتي التي
نظمتها كقطعة من مهجتي

وضعت فيها تجربة ذاتية
رغم السنين فهي فتية

أهديها من قلبي لكم يا صربي
مع أطيب الأمناني ومع حبي..



أي شيء يا ترى.. فيه توثيق العرى
فيه تأليف المشاعر.. فيه ربح من شرا

ما رأتُهُ العَيْنُ يوماً.. بل بهِ القلبُ درى
ذلكَ جذبُ المحبةِ.. وبعينِها يرى!

أي برٍ لا يُبارى.. فيه نورٌ ومنازةٌ
فيه قسطاسٌ لقومٍ.. فيه نبراسُ الحيارى
فيه تصحيحٌ لنهجٍ.. فيه صحوٌ لسكارى
ذلكَ كنزُ المحبةِ.. فلهُ أبغِ ادخارا

من أرادَ وعظاً قومٍ بعباراتِ المقالِ
وارتضى باللفظِ نصحاً دونَ تأكيدِ الفعالِ
وعظهُ لا يُجدي نفعاً كالمياهِ في السلالِ
لا إلى الأقوالِ يُنظرُ بل للقُدوةِ والمثالِ!

يا طويلَ العمرِ لا تنتظرُ سوى حُسنِ البديعِ
في الزهورِ والطيورِ وبأجفانِ الرضيعِ
وبنفحِ الروضِ في فصلِ الربيعِ
وبشكرِ القلبِ مغسولاً برقراقِ الدموعِ

في غصونِ الغارِ يهمنُ وبطلعِ الأحقوانِ
وبودِ الجارِ نلمسُ عطفَهُ الضافي الحنانِ
ليتنا نصبو إليه طولَ أيامِ الزمانِ
فنرى الفردوسَ في الأرضِ ونحيا في أمانِ

مَنْ يَقْتُلْ نَحْنُ بِعَصْرِ يَوْمِنُ بِالْمَعْمَلِ
وبكلِ ما للحسِّ والتجريبِ يخضعُ من علِ
إنما المخبرُ يُخبر.. وببرهانِ جلي
أنهُ من خلقِ عقلِ المرءِ مخلوقِ العلي

أو يَقْتُلْ لَسْنَا بِحَاجَةٍ لِحَوَاطِرُ فَائِقَةٍ
حَسْبُنَا الْمَنْظُورُ يَحْوِي كُلَّ حِجَّةٍ صَادِقَةٍ
ربما المرئيُّ باتَ حاجزاً أو عائقاً
إن حَسْبِنَاهُ عَتِيداً، سرمدياً خالقاً!

يا نزيل الأرض لا تأملن خلوداً في الخواء
هذه الدنيا وما فيها أخيراً للفناء
جسدٌ منك وحسبٌ صيغٌ من طينٍ وماءٍ
إنما والحق جئت أنت من قلب السماء

كنت بالأمس ملاكاً يتماوج في الفضاء
يعرفُ الحاضرَ والآتي وكلَّ ما مضى
يُبصرُ الأنوارَ، يسطعُ، من محياه الرضا
يستقي من سلسبيلٍ لا يدانيه اللظى

لم يكن حدٌ ليفصلُ بينك والمُبدعِ
لم يكن حزنٌ ليترعُ عينك بالأدمعِ
ما عرفتَ الغمَّ والهَمَّ ولا كنت تعي
غير ديمومةٍ للغبطةٍ يُلزمها الوعي

من ديار الخلد جئت وهجعت في الهشيمِ
ونسيت المنزلَ الأعلى وفردوسَ النعيمِ
خلت أن كلَّ ما فيك نهايته رميمٌ
ليتك تدركُ أن جوهرَ الروحِ سليمٌ!

من وراء الغيمِ ترنو، تبتغي رؤيا الضياءِ
وتعاني ثم تعنو، طالباً بعضَ الدواءِ
فيك، في أعماقِ ذاتك، كلُّ إكسيرِ الشفاءِ
إن تيقنت بأن الله والنفسَ سواءِ!

غذت في النفس اشتياقاً إلى ما فوقَ النجومِ
واملاً القلبَ حنيناً تننقي منه الهمومِ
وتأكدُ أن ما في الكونِ من شيءٍ يدومِ
إلا خلاقُ البرايا، مُنتهى كلِّ العلومِ

قد رأيتُ الناسَ في نأيٍ عن الكنزِ الفريدِ
بل رأيتُ الناسَ يشكونَ من المرِّ المبيدِ
إن تقلَّ هذا رحيقٌ.. قالوا: زقومٌ صديدٌ
أو تقلَّ هذا زعافٌ.. قالوا: بل شهدٌ أكيد!

هل غدا الشرُّ شراباً مستساغاً يُحتسى؟
أبغِبِ الراحَ مَنْجىً من همومٍ وأسى؟
أم بتفكيرٍ منيرٍ في صباحٍ ومساء؟
في التأملاتِ جُرعةٌ عذبها لا يُنتسى!

يا رفاقَ الدربِ غوصوا في محيطاتِ المعارفِ
وذروا قالاً وقلنا للذي يهوى السفاسفُ
كونوا عنوانَ المفاخرِ.. سارعوا نحو المشارفِ
بددوا شملَ التناحرِ.. بالتلاطفِ والتعاطفِ

يا مثالَ الخيرِ كن شخصاً لمجموعِ الفضائلِ
وليكنْ قلبكُ بحراً يحتوي أندى الشمائلِ
وتصبرْ في الشدائدِ وتبصرْ في المسائلِ
وتبسمْ إنما البسمةُ عنوانُ التفاؤلِ

لا من اللذاتِ نروي كلَّ شوقٍ للقلبِ
إن فعلنا قد سكبنا الزيتَ ما فوقَ اللهبِ
وانتفى منا طموحٌ وتملكنا التعبُ
والهممِ تمسي رماداً لا كنيرانِ الحطبِ

في جمالِ الله نرُضي كلَّ ميلٍ للفؤادِ
في التلالِ في السهولِ في الحقولِ في الوهادِ
في القناعةِ في الوداعةِ في التأملِ بانفرادِ
في الوفاءِ في الرضاءِ في المحبةِ للعبادِ

كل يومٍ فيه ندنو من وداعٍ ورحيلٍ
عظةٌ مرسومةٌ للناسِ بألوانِ الأصيلِ
وبأوراقِ الخريفِ وبأنفاسِ العليلِ
مثلما كانوا وبانوا، سوفَ نهجرَ الطلوثَ

بانفرادٍ قد أتينا وسنذهبُ بانفرادٍ
فلمَ نصرفُ كلَّ الوقتِ ما بينَ العبادِ؟
دعنا ندخلُ مقدسَ الروحِ إذا رمنا السدادُ
فتباركنا السماءُ ويدانينا المرادُ

لا تسرُّ دربَ الجموعِ، لا تسلُ رأيَ الجماعةِ
بل ترقبُ للشعاعِ يأتي مع صدقِ الضراعةِ
لإلهٍ غيرِ لاهٍ، يتهللُ للوداعةِ
ولنفسٍ تؤمنُ بالخلدِ حساً وسماعاً

لا منَ الصمَّاءِ نعرفُ بل منَ الطامي الغزيرِ
ومن الكرمَةِ نقطفُ، ليسَ من شوكِ مريزِ
صخرةِ الأوهامِ ترسبُ، وكذا الشوكُ يطيرُ
في التأملِ نتوصلُ إلى أقداسِ الأمورِ

من نقاطِ الغيثِ تزهو الأرضُ بالنبتِ النضيرِ
وكذا الأنهارُ تجري ملأى بالماءِ النَميرِ
قطرةٌ خيرٌ وأخرى، تملأُ النفسَ بنورِ
إن صنعنا البرَّ سراً نبني بيتاً في الأثيرِ

ليسَ في الدنيا تشابهُ بين ذاتٍ وسواها
حكمةٌ لله لا تدركُ ولا يُعرفُ مداها
فتفردَ بمناقبِ قلما غيرُك حواها
وتجردُ عن شوائبِ لا تسرُّ من رآها

ها هو البدرُ يبزُّ كلَّ لآءِ النجومِ
وشعاعُ الشمسِ يسطعُ فوقَ أكداسِ الغيومِ
ليتنا نمسي شموساً تمحي ديجورَ الظلامِ
حبذا نغدو دروساً في المحبة والسلامِ

عُدْ إلى قلبِ الحياةِ وارشفْ عذبَ السرورِ
وانشدْ النشوةَ بقلبٍ قوتهُ قدسِ الأمورِ
إن تفكرتَ بروحٍ وصفا فيك الشعورِ
لا إلى لحدٍ تصيرُ، بل إلى أمنٍ ونورِ

ما تقولُ مبعثِ السحرِ بأشخاصِ الأنامِ؟
لا منَ الأجسامِ تهوي إثرَ داءٍ واصطدامِ
بل من الأرواحِ تزخرُ بودادٍ وونامِ
عاشقُ الأجسامِ يُخفقُ، لا يدانيه المرامِ

مثلما تسري العُصرةُ بين أليافِ النباتِ
وتخضبها اخضراراً فيه أسرارِ الحياةِ
هكذا الروحُ يلوحُ في رسومِ الكائناتِ
فيه الإنسانُ يحيا قبلَ أو بعدَ المماتِ

التحرُّقُ سيولدُ الولعَ
والولعُ يُفضي لرغبةٍ بامتلاكِ
ثم يأتي بعدَ هذا الإشتهاءِ
والهوسُ ثمَّ الغضبُ ثمَّ الهلاكِ

بالسكينةُ يتبددُ حزنكُ
ويزولُ العبءُ عن كاهلكُ
ومتى قلبكُ لاقى راحةً
فلكُ الحكمةُ والحكمةُ لكُ

إنما لا حكمةً من دون انسجامٍ
لا تأملُ دونَ عقلٍ متزنٍ
لا سلامٌ دونَ تفكيرٍ سليمٍ
والفرحُ لا يأتي من غيرِ سلامٍ

عندما الفكرُ يهرولُ مُسرعا
خلفَ أهواءِ الحواسِ العاتيةِ
تَلعبُ الأهواءُ بالحكمةَ كما
تَقذفُ الريحُ بأوراقِ الخريفِ
(فيصيرُ عندها العقلُ خفيفاً)

إنَّ من يصبو لإشراقِ سعيدٍ
يترفعُ عن هيامِ بالحواسِ
هذا ما يعرفهُ كلُّ مریدٍ
إذ يُثابُ بنعيمٍ لا يُقاسُ

هادئِ النفسِ يرى نورَ الإلهِ
رغمَ أن الناسَ في ليلٍ بهيمٍ
والذي يحسبُهُ الناسُ نهارةً
هو ليلٌ وظلامٌ للحكيمِ

مثلما الماءُ يصبُّ في المحيطِ
والمحيطُ لا يفيضُ ماوهُ
هكذا يبقى الحكيمُ راسخاً
في سلامٍ دائمٍ لا يأبهُ
مهما دقتْ رغباتُ بابهُ

إن من يهجرَ كلَّ الرغباتِ
والتملكِ والصلفِ والكبرياءِ
سوفُ يحظى ببلوغِ الأمنياتِ
ومباهجِ ما لها من إنتهاءِ

إن روح الربِّ قصدُ الكائناتِ
عندما يُبلِّغُ يرتاحُ الفؤادُ
حتى في آخرِ ساعاتِ الحياةِ
يمكنُ للمرءِ إدراكَ المرادِ
ويصلُ للمصدرِ نبعِ السلامِ

إن دربينِ يقودا للكمالِ
ها هنا الآنَ كما في السابقِ
دربُ حكمةٍ وكذا دربُ اشتغالِ
خدمةٍ للناسِ أو للخالقِ

إن إنساناً حكيماً يتحكَّم بقواه
دونَ قيدٍ وارتباطٍ بمتاهاتِ الحياةِ
يعرفُ كيفَ يسيِّرُ.. كلَّ طاقاتِ لديه
رأيهُ رأيٍ سليمٍ.. يُركنُ دوماً إليه

كم يلجُّ الشوقُ فينا لارتياحِ وارتشافِ
ونرى في الحسِّ سقياً يدفعُ ييبسَ الجفافِ
منه نتخَّم ثم نسقمُ، إذ يمازجُه زعافُ
أنتَ روحٌ وشرابُ الروحِ أنقى من سُلُوفِ

مخمصةٌ في النفسِ تكمنُ زادها خبرُ الوجودِ
وأوارٌ لا يُروى إلا من ماءِ الخلودِ
أنهرُ الترياقِ تجري، دونها تهوي السدودُ
هذه الخيراتُ مبدولةٌ فدعك من صدودِ!

عن مسارِ النورِ لا تبعدُ وإن عزَّ الرفيقُ
تابعُ السيرِ صديقي حتى منتهى الطريقِ
كلُّ من يسلكُ يدركُ ومن الحلمِ يفيقُ
فيرى شمسَ الحقيقةِ، ويعاينُ الشروقِ

قوتان في الوجود في اعتراكِ واصطراع
مطمخ الأولى رشاد، مطمخ الأخرى ضياع
فالرشاد للمريد كوكب يهدي الشراع
والضياع للجموع يورد الحنف المريغ

فتحالف مع قوى النور ولا تهو الدجى
إن بالحق الترقى مع كمال للحجى
وثمار الشر تفري ويعز المرتجى
أو هي العلقم يلقم، قل من منه نجا!

وتدرع بيقين دونه ثبت الجبال
فالثقة تبني بيوتاً فوق صخر لا رمال
فإذا الأنواء هبت وطغى مد السيول
تبقى البيوت وطيدة، أمنة شر الزوال

كل يوم فيه نهج ومجال ومدى
والدجى يتلوه وهج فيه دفء وهدى
فتعز إن كبوت وتوجست الردى
من جديد أنت تحيا كلما الفجر بدا

إن لك لاح الحبوط بوشاح أسود
أبو بك راح القنوط يطفى نور المعبد
فتذكر أن ليلاً لن يدوم لغد
إن تجلدت وجدت والتمست تهتد

فتفكر وتذكر وادخر حسن العمل
وتأمل وتعلن بشفاء للعلن
وتشدد وتجلد وامتط جناح الأمن
فيطيب القلب منك والجراح تندمل

إنما الأفكارُ بذراً لا يعتَمُّ أن يفرِّخَ
وفروعُ النبتِ تثمِرُ، وفروعُ الزرعِ ترسخُ
فبذورُ الشرِّ أفنٌ، وجذوعُ الإثمِ اشدُّ
وصروحُ الخيرِ ابنٌ، فصروحُ الخيرِ تشمخُ

فكرةُ الخيرِ شمسٌ تظهرُ وجهَ العلي
وبها الفردوسُ يبدو لذوي الرؤيا جلي
قرةُ عينِ النبيينَ ومحبوبِ الولي
من به تحيا دواماً، من نعيمٍ يمتلي

أن قلبَ الله يُفتحُ لوديعٍ وعفيفٍ
ففؤادُ الطهرِ يسري فيه تيارٌ لطيفٍ
كلُّ ما يصدُرُ عن فكرٍ نقيٍّ ونظيفٍ
يتسامى نحو بُعدٍ، عالي الذروة مُنيفٍ

هو ينبوعُ الأمانِ.. ومن الوجدانِ دانِ
وصنائعُ يديهِ بادياتٌ للعيانِ
يشتهي ودَّ الفؤادِ فوقَ تمجيدِ اللسانِ
ويقولُ بالمحبةِ تلتقيني وتراني

عجباً ممن يقولُ مُنتهاناً للحدودِ
ليت أفكارُ الفناءِ في العقولِ لا تسودُ
مثلما الأغصانُ تزهرُ بعدَ ثلجٍ وبرودِ
هكذا الإنسانُ يحيا رغمَ توسيدِ اللحدِ

لا إلى حتفٍ نؤولُ حسبَ تقديرِ الجَهلِ
فشعاعُ النفسِ لا يَحُمِدُ وإن ماتَ الهيولي
جوهرُ الأزهارِ مخزونٌ بأليافِ الأصولِ
نحنُ نحيا بعدما الجسمُ يصيرُ للزوالِ

حبذا الأقوال لو جاءت كمخزون الصدور
مرحى للإحساس في الناس إذا حاكى العبير
بورك الشهم وقد أهدى إلى الناس السرور
فله في النفس تهليل وتبجيل كبير!

قد يحبط المسعى مراراً إنما
ما من مصيبة كاعتراف بالفشل

لا عيب في الإخفاق بل في الكف عن
بذل الجهود والرقود والملئ

فإذا طمحتم للمعالي فانكروا
أن النجاح في العزيمة والأمل

وإذا بلغت قمة لا تحسبوا
أن المشارف حدها أوج الجبل

لا حد للكون ومن رام العلى
فليعرف الكون وباريه الأجل!

في رحاب الروح نكسب حكمة تغني العقول
تنفر من حدة الضوضاء.. من هرج الرعين
ومن الإكثار من هذر ومن قيل وقال
ومن الجهل وقد بات عدواً للكمان

لقد رأيت الكثير في الحياة ولم
يلج فوادي مثل شهم مسامح
تراه حليماً يعمر الحب قلبه
ومنزله في الناس بين الجوانح

فوق جسر الصفح نعبز لنفوز بالنعيم
فحري أن يظل الجسر في وضع سليم
بورك المعبر ينقلنا إلى برّ السلام
إن تهدم نتندم، ونرى قبح الجحيم

صاح ما عشنا حذار من رداءٍ للتظاهر
يحبُّ إشعاع نورٍ، يبرز ما في السرائر
أي شخص يرتديه، هو بالتأكيد سافر
كل من يهوى التصنع، إنما للكشف صائر!

مذ جفا الله ابن آدم، وأطاع الكبرياء
واحتسب مخزون علمه، يحوي من ألف ليا
قد غدا جواب قفرٍ ومن النعمة براء
سائراً إن لم يجاف ما أطاع للوراء

بالدمع تبصر آفاق مرصعة
تزري بدرٍ وياقوتٍ ومرجان
والعين تكسب صفواً إن هي ذرفت
والقلب يغسل من غثٍ وأدران

إذا في عينك جال ذوب الشوق والود
وإن أترعت خافك بالإخلاص للعهد
بك تبرغ أحاسيس فوق الحصر والعد
وتشرق فيك أنوار تبدد ظلمة الضد
وتملك كوكب السعد

خير ما تعطي السماء لنا في الأرض الصديق
فيه حبُّ الله والمعنى العميق
وجمالات المحبة وشذا الود العبيق
فمن الأصحاب فتش بالسراج في الطريق!

لا يبز نفع طيب غير معطار المناقب
واتضاع القلب يبلغ صاحبه أعلى المراتب
ورضي الخلق يرضى، لا تكدره المصائب
من حوى هذي المزايا ينجو من ناب النوائب!

إن تعشقت ارتياد الحق عذب المنهل
وسما شوق الفؤاد لبلوغ الموئل
فبمِرْقاة المبادئ أوج عز تعلي
مبدأ الإخلاص نهج وبه وهج جلي

وإذا رمت ابتهالاً جاف تفخيم العبارة
فدعاءً مثل هذا حاشاً أن يبلغ قرارا
همسة الوجدان فيها كل معنى وإشارة
فبنتطق القلب نسمع، لا بحذق أو مهارة

وكبتور شفيف ينفذ منه الضياء
لتكن نفسك مرآة صقيلة بصفاء
تعكس نور القدير مثل صفحة السماء
وتشع منها أقباس صباحاً مع مساءً

مرحى للمخلص فكراً، مع فعال وكلام
يتمنى الخير والأمن لمجموع الأنام
يزرع أغراس حب وتآلف وونام
تثمر دوماً مسرات وبهجة وانسجام

كن كزهر الروض لا ينفخ سوى عذب الأريج
ينعش الذوق بعطره وبمراه البهيح
يسعد الأبصار مرآه المرصع للمروج
دون إعلام وإعلان بطبل أو صنوج!

إنما الأزهار توحى بنظام واتساق
وبوعي وبروح وبألغاز تساق
للعقول كيما تصحو، ومن الغفلة تفيق
لترى من قد برا، وبتكريم حقيق

هل نظرت الشمعة تفتنى، كي تنير الآخرين؟
وتذوب وتسح دمعها الصافي السخين!
بورك شمع التفاني، وكذا دمع الحنين
وفؤاد المرء إن أعطى وجاد بالثمين

هل رأيت البرتقالة تكثر حلو الشراب؟
وتجود بالرحيق رغم تمزيق الإهاب!
جد بسيل العذوبة إن تذوقت العذاب
فعطاء الصفا يرفع إلى ما فوق السحاب

إن من رام العطاء فالمثال في الشجر
يمنح الظل الظليل ويجود بالثمر
فإذا الأغصان قذت، وإذا الجذع نشر
لا يكف عن عطاء بسخاء للبشر

هل رأيت الحبة تهجع تحت طيات الثرى؟
ورأيت القلب منها يمسي قوتاً للورى!
إن من كان لغيره، لا يسير القهقرى
بل إلى الأفلاك يسمو، وضيا الله يرى

وكذا النحلة تقصد، أحلى أزهار الربيع
ترتشف منها رحيقاً تدخره للجميع
إن من يعطي طعاماً للجياح لا يجوع
بل من الخيرات يملأ، ببركات البديع

ما خلقتنا للتعبد لمفاهيم ذوت
وعفا الدهر عليها، واضمحلّت إذ هوت
قيمة الإنسان لا تعدم إذا الدمة صفت
فمقاس الفضل مقرون بما النية حوت

بسلام الروح يحظى مُكرّم صوت الضمير
فمن الوجدان يحكي بارئ الكون القدير
تارة صمتاً ينادينا وطوراً كالهدير
إن سمعنا وشرعنا بالمتول نستنير

في سلام القلب نلتدُ بمصداق اليقين
وبصوت الحق يهديننا إلى النهج الأمين
وبنا يسري شعورٌ فيه شوقٌ وحنين
ولنا تعطى كنوزُ الفهم والفكر الرزين

لي بمدح الأم رأيٌ غزرت فيه المعاني
وحوى فيه كنوزاً وحلت فيه الأماني
أعذب الأصوات عندي ليس رنات اليماني
بل نداء القلب متبوعاً بلفتات الحنان

من تراه يُغرق الإنسان في بحر الوداد؟
من تراه يُغدقُ التحنان في جودٍ فريد؟
من له القدرة على فتح مغاليق الفؤاد؟
نائب الرحمة والرحمن ما بين العباد!

كل إنسان لديه عملٌ فيه مناطٌ
واجبٌ كالفرض بالإنجاز يُفضي للصراف
ويهب للمرء طعم البهجة والإعتباط
فإذا أهمل أو ملّ فلسع كالسياط

إننا ننمو ونسمو باحترام الواجب
والتعمق في التأمل.. وبفكرٍ ثاقب
وبتقديرٍ وتقديسٍ لإسم الواهب
وبتعزيز اليقين في فؤاد الراغب

إني أشجبُ التزمتُ، والتعصَّبُ والتطرّفُ
وكذا أنعي التأخُّرُ، والتخاذلُ والتخلفُ
بالتظلمُ لستُ أو من.. بالتقاعسُ.. بالتأفُّفُ
بل بإيجابٍ وإعجابٍ بكلِّ ما يشرفُ

قد يقولُ البعضُ دعكُ من تعهدُ بالتزام
واطلقُ النفسَ لتعربُ عن مرامٍ وغرامٍ
إنما الترخيصُ عجزٌ وتغاضٍ عن مهامٍ
وهو خلٌّ مخاتلٌ، من يصاحبه يُلامُ

ليسَ التحرُّرُ من غلٍّ يخلصنا
من القيودِ إذا لازمنا ديجورا
فالحرُّ يأبى ظلاماً في سجيتهِ
ويكرمُ الخيرَ والإلهامَ والنورا

حافزُ الشرِّ كديجورٍ به قبحُ المغيبةِ
أو كبنيرٍ من زعافٍ يصرعُ من منه عبّ
والذي يهوى ارتيادهُ يزدري قدساً ورباً
إن هو يمزعُ قشراً، يحسبُ الممضوغُ لباً

مثلما للخيرِ جندٌ ها هنا أو في الأثيرِ
هكذا للشرِّ بندٌ مع فيالقٍ ونفيرِ
إنما خذها يقيناً من بصيرٍ بالأمورِ
رايةُ الحقِّ ترفرفُ أبداً دهرَ الدهورِ

قد يجيءُ الزيغُ مُلتفأً بأثوابِ الصلّاحِ
ويودُّ لو به أبصرنا إشراقَ الصباخِ
لسنا للمظهرِ ننظرُ بل إلى المعنى الصحيحِ
خلفَ منطوقِ العبارةِ.. وراءَ اللفظِ الفصيحِ

إن تعمقنا بفكرٍ وتأملنا الأمور
وتبصّرنا القضايا فيما لا تحوي السطور
لترنّحنا اندهاشاً، مثل من عبّ الخمر
ولأدر كنا المدبّر في سياحات الشعور

هو دمعُ الشوقِ يُسفّح، ولخير الكل يفرح
ولصحو الناس يصبو، ولبؤس المرء يترخ
يسكنُ القلبَ فإن زاعَ عن الإخلاص يبرخ
اصرف الأيام في التفكير بالمقصود تريح

القمعِ دقَ حجماً أن يقيس الأوقيانوس؟
أنشبههُ وهجَ شمسٍ بشعاعٍ من فانوس؟
كن محيطاً لا يحاطُ يعكسُ شمسَ الشموس
لا تقل أيامي تمضي وأصيرُ للرموس

إنما الكونُ وما فيه ظلالٌ ورسومٌ
من هلالٍ وتلالٍ ورمالٍ ونجومٍ
تتلاشى إثرَ دورٍ مثلما تجلو الغيومُ
بينما الرسامُ يخلدُ: جهبذُ الفن العظيم

أي خيرٍ من تشاؤمٍ وتجهّمٍ وضجّرٍ
وتبرّمٍ وتألّمٍ من حماقات البشر؟
دعنا نبسّم.. دعنا نحسّم.. كلّ أسباب الكدر
صورةُ الرحمنِ فينا.. وهي خيرُ الصور

قيل لي أن أناساً يهزؤونَ بالحقائق
ويودوا لو بدرب العارفِ ألقوا العوائق
هل خبا فيهم ضياءٌ وانتفتت منهم بوارق؟!
لو بعين الفهم جالوا لرؤوا ربّ الخلائق

إيتاعات

ذكرياتُ الأَمسِ في الروحِ سَرَتِ
فأثارتُ في الفؤادِ شجنا

ثم أمستُ قطراتٍ فَجَرَتِ
مثلَ دمعِ الغيثِ زارَ السوسنا

لا ترهبنَ اضطلاعاً بالمهامِ وكُنْ
كالبحرِ يزخرُ بالأمواءِ والدررِ

وكُنْ سهولاً بها رَحَبٌ ومُنْفَسِحٌ
وركنَ عزٍ يجيرُ الناسَ من خطرِ

ما حطَمَ الناسَ إلا المالُ والطمعُ
وحبُّ ذاتٍ ولوَمٌ، أيضاً الجشعُ

أصنامٌ وهمٌ تُشادُ ثم تنهدمُ
وظلٌّ ماءٍ إذا ما جيءَ يمتنعُ

إن الفضائلَ لا تُحصى بجملتها
لأنَّ أصلها في الوهابِ مقرونٌ

لكنَّ أمراً يلخّصها ويشملها
عرفانُ فضلٍ وقد آواه وجدانُ

إن الثراءَ يُقاسُ بالشعورِ فإنْ
شعرنا حقاً ملكنا منجمَ ماسِ

وإن عجزنا عن الإحساسِ لا عجباً
إن كنا صفرأ ولو وعظنا بالناسِ

يا نفسُ صبراً على الأحداثِ وابتسمي
ولا يهَمِّكِ ما قد قيلَ أو شاعا

كم حاولَ الليلُ أن يخفي تَأَلُّقَكَ
فزدتِ في العتمةِ الظلماءِ إشعاعاً!
لا تأمننِ صديقاً كانَ قد صَحِبَ
إثنينِ قبلكِ ثم عليهما انقلبَ

تأبى الشهامةُ أن تأوي لخافقه
ما دام يضمُرُ غشاً أو يقتل كذباً

وإن عثرت على المخلص فانت به
أغنى بدمتي ممن كدس الذهباً

لا يقذفُ الناسَ بالحجارةُ من سكنَ
بيتَ الزجاجِ وإلا حطمَ السكنا

ومن يعاينُ عيباً في الأنامِ يروا
فيه المعايبَ والأوضارَ والدرنا

إشراقَةُ الروحِ كم أصبو لمنهلكِ
وكم أعللُ في لقيكِ أيامي!

يهفو الفؤادُ إليك حينَ أذكركِ
وترتجي النفسُ مرأى وجهكِ السامي

أنتِ التحررُ من همٍ ومن جزعِ
ومن ظلامٍ ومن خوفٍ وآلامِ

لا زلتُ أرنو إليكِ والحينُ غدا
كجارفِ السيلِ ينشدُ بحركِ الطامي

لو أنني سئلتُ عن ماهية الخلاقِ
وقيلَ أي مظهرٍ تختارُ أو تشتاقِ؟

ألفيتني أرنو إلى الفضاءِ
مفتشاً عن وجهه الوضاءِ

كي آتي بالجوابِ.. أخاله اللبابُ
أستوحى الضميرُ.. أغوص في التفكيرِ

لعلمي للحلِّ أهتدي وأجتني السدادُ
وأضع العمادُ لمنهجِ فريذ!

يوحي لي الوجدانُ عن مظهرِ الديانِ
بأنه الحبُّ الذي في قلبه الأمانُ

والعطفُ والتحنانُ
لكائنٍ من كان

برمهسيات

(Samadhi النشوة الكونية)

قد تلاشت حُجُبُ النورِ كما
ولتُ الأحزانُ والظِلُّ اختفى

ومضى الفجرُ وإشعاعُ المنى
وسرابُ الحسِّ ولَّى وانتفى

فالمحبةُ والكراهيةُ على
شاشة الأضدادِ أمست كالعدمِ

وكذا العيشُ أو الموتُ ولا
من أثرٍ لعافيةٍ أو للسقمِ

موجُ ضحكٍ من شعوري برح
حاملاً أصدافَ هُزءٍ وعبثِ

هذي ذابتُ وشعرتُ الفرخِ
يغرقُ الحزنُ، وما الغمُّ لبثُ

صولجانُ الفطنةِ الكبرى لمسُ
نوعٍ وهمٍ فعلى الفورِ هجَعُ

بيدَ أنَ الكونَ كانَ يختلسُ
فرصةً كي يغزو وعيي المتسعُ

إني أحيا خارجَ الظلِ المديدِ
ذاك ظلٌّ ما له عني انفصالُ

مثلما البحرُ بلا موجٍ يميزُ
إنما الموجُ بلا بحرٍ محالُ

ذابتُ الأحلامُ واليقظةُ كما
أقلعَ الإغراقُ ذو البُعدِ العميقِ

حاضرٌ مع ماضي عهدٍ هُدمِ
ومن المستقبلِ زالَ البريقُ

حيثني الموجودُ في كلِّ مكانِ
دائمٌ اليقظةِ حيٌّ للأبدِ

متدفق من مسامات الزمان
خلف منظور هنا أو في الجلد

قد رشفت وابتلعت الأنجما
والنيازك والكواكب والشموس

وانفجارات بأرض سما
وسيول الحشر ما بعد الرموس

وكذا الأنهار: أنهار السكون
وبراكين الضياء المتقد

وخواطر سائر الخلق بكون
من قديم وأني وأبد

وجميع الليف في العشب انصهر
في كياني مع وجودي والأنام

كل ذرة من تراب منتشر
مازجت روعي وذابت في السلام

وشربت الحنق أيضاً والطمع
والخلاص.. والصلاح والردي

كلتها حولتها بحراً يشع
من دما ذاتي سنياً وندي

وسرور خانق من نفخة
للتأمل يعمي مقلة قاطرة

فجّر في لهب من غبطة
لاقماً جسمي وعيني الماطرة

أنت ذاتي وأنا الذات كما
عالم.. معلوم.. علم.. متحد

رعشة للحس حلت عندما
فيها تيار المسرات اتقد

وسلام فيه تجديد عظيم
متعة تسمو على حد الخيال

هذه النشوةُ جودٌ من كريمٍ
واتحادٌ فيه للشوقِ اكتمالُ

ما هي غيبوبةٌ عن وعيٍ ولا
جرعةٌ من تخديرٍ بل أمرٌ أكيدُ

فيه توسيعُ المداركِ للعُلا
خلفَ محسوسٍ إلى البُعدِ البعيدُ

فأنا البحرُ الخضمُ الشاملُ
أرقتُ الذاتَ الصغيرةَ بي تعومُ

يقظُ، منتبهٌ، متفائلُ
أبصرُ الأطيَّارَ تهججُ أو تحومُ
وكذا الذراتِ في صلبِ التخومُ

كلُّ صقعٍ في الفضاءِ يسبحُ
في دمي مثلُ جبالٍ من جليدِ

بتُ وعياً ووعاءً يطفحُ
بالذي يزخرُ به الكونُ العتيدُ

هذه الحالاتُ تأتي للمريدِ
باشتياقٍ ظامئٍ للمعرفةِ

وتأملُ حسبَ تعليمِ الرشيدِ:
غبطةٌ فيها ينابيعُ الشفا

تسمعُ الذراتُ في همسٍ رقيقِ
والجبالُ مثلُ سائلٍ منصهرِ

وكذا الأصقاعُ والوادي العميقِ
والبحارُ كسديمٍ منتثرِ

هذا صوتُ أومٍ على سطحِ المياهِ
يرفعُ الأوهامَ، فيا للعجبِ

ومحيطاتُ مضيئةٌ في تباهُ
تقفُ مكشوفةً دونَ حُجبِ

ذاب صوت الكون في قلب السكون
وتلاشى الكل في نور الوجود

وشعرت الخفق في كل القلوب
غبطةً فيها التحرر من قيود
وابتهاجاً يبلغ شط الخلود

هذه الأقنعة من صلب ونور
وبخارٍ وسوائل ترتفع

أما روجي فبأفلاك تدور
نحو ذاتي الكبرى تواءً تندفع

للأبد ولي خيال ذاكرة
ميتة لا تعرف غير الظلان

أفق نفسي صار حقاً نيراً
تحتي، فوقي، وأمامي، في جلال
فالأبد إشعاعه دون زوال

وإذا كنت فقاعة عائمة
فوق أمواج من الضحك فقد

صرت بحور المسرة الدائمة
واغتباطي بانتشائي لا يحد!



لا تجزعي يا نفسي لا.. لا تجزعي!

لا تجزعي مهما الحياة أسرفت
في جورها وتعسفت، لا تجزعي

وتعشمي الأنوار حتى في الدجى
فالشمس في الأفق وإن لم تسطع

وتبسمي مثل البراعم للندى
وتنسمي عبق الصبا المتضوع

وإذا المآسي قرّحت أجفانك
فالعين تصفو بانهمار الأدمع

والشوك إن أدمى الأنامل وخزّه
فالورد يهمس عطره لو تسمعي!

وتذكري أن وجودك لازم
للكون صنو للشهاب الألمي

إن كنت تخشين الحياة وبأسها
فتوجهي بالروح نحو المبدع

وودعي دنيا الغرور تأمني
وقلبك عند الأمين أودعي

وامشي على درب الحقيقة تبصري
نور الوجود وعندها لن تتدعي

لا تغبسي، لا تيأسي، لا تحبسي
النهدات والآهات بين الأضلع

لا تقنطي فالعيش يزخر بالأمل
وإذا شعرت بالتوجس فارجعي

فإذا فعلت سوف تلقين الرضا
وإذا اندفعت أخشى أن تتوجعي

لا تقفزي وسط الظلام فر بما
صادفت ما لا تقدر أن تدفعي

بل اسلكي درباً أميناً تهني
بالخير كل الخير من بحر الوعي

ما زال ربك ساكناً في عمقك
في الروح في الوجدان غير مقتنع
لا تجزعي.. يا نفسي لا.. لا تجزعي!

والآن فلنقرأ وصية صادقة
فيها مشاعر مع أفكار سامقة

نظمها الصديق للصديق
قبل افتراق العمر والطريق

فكل بيت فيه حسّ صادق
وكل معنى بالمودّة عابق

صديقي عندما نفسي تفارق
هشيم الأرض.. أحلام السبات

فلا تأسُ لفقدي أو ترتل
ترانيم المراثي المبكيات

ولا تغرسُ جفناك الورد حولي
ولا أشجار سرو باسقات

كن الطلّ النديّ على ترابي
وزخات الغيوث الهاطلات

كن الأعشاب حولي يا صديقي
وأهداب الأقاحي الباسمات

وإن رُمتَ لقائي بعد هذا
ستبصرني بكل الكائنات

واذكر إن أردتَ وإن سلوت
فلا لومَ عليك مدى الحياة!

بعد الوصية هذي أبيات بها
فكر عميق هيا نستمع لها

من نظم روديارد كيبلنغ المعروف
ترجمتها إلى بني معروف

إن كنتَ تمشي وترنو للفضا الصافي
وتبصرُ الشمس تسكب نورها الشافي

وإن بعزمك آمنتَ ولو نكرتُ
كل الأنام وقالوا أنك غاف

وإن كُرِهتَ ولم تبعثْ مثيلتها
لقلبِ حاقِدٍ أو وجدانهِ الجافي

وإن رأيتَ رعيْلَ الناسِ منهمكاً
بالقيلِ والقَالِ من هذرٍ وإسفافِ

وإن بسَمْتِ لإخفاقِ وترقيةِ
وقلتَ ما أستحقُّ يأتي بالوافي

وظلَّ ففركِ في الآفاقِ معتلقاً
يعاينُ اللهَ في المنظورِ والخافي

وإن شعرتَ وحيداً في الكفاحِ ولم
يهُنْ بكِ العزمُ أو إحساسُكِ الدافي

فأنتِ صاحبُ الدنيا بأكملها
وأنتِ كفوٌّ وللمواقفِ كافِ

والآنَ إلى عهدِ برمهنسا
ووعدهِ بأنه لن ينسى..

*When I take the Vow of Silence
By Paramahansa Yogananda*

عندما أقطعُ عهداً بالسكوتِ
كيما أبقى مع حبيبي في انسجامِ

أنعمُ بينَ ذراعيهِ اللتينِ
تغمرا الكونَ العظيمِ

سوفَ أبقى سامعاً ألعانهُ
وأناشيدَ السلامِ والنعيمِ

مُبصراً مخبوءاً أطيافِ
وقدسيّ تجلِّ ورؤيا للعظيمِ..

بيدَ أيّ سوفَ لا أنساكمُ
وسأرمقكمُ بصمتِ واهتمامِ

تخطرونَ فوقِي في الأعشابِ
في نبتِ الأديمِ

أوتروني ناضراً في الغصن
مخضراً بأوراق الكروم

وسأرعاكم بعطف القلب
والأم الرؤوم

من خلال قرمز الزهر
المضّمخ بالونام

مما يجلب لكم البهجة
والغبطة وإحساس السلام

وأطوّقكم وأداعبكم
بأعطف النسيم

كيما أنجدكم من الخوف
ومن ظل الهموم

وأغلفكم بنور الشمس
يوحي بالدفء الحميم

عندما الوحشة تنسل
برعشة للصميم

حينما للبحر ترنون
تروني في الخضم

واحداً مع ربي في الأفق
ونيليّ الخيام

فيها إشعاع لجينيّ
ولا زورد كريم

سوف لا أنطق قطعاً
إلا من عقلٍ فهيم

ومن الوجدان إن شئتُ
سأعتب أو ألوم

من محبتكم سأقنعكم
وخرق الهيام

علم تصبون للمعبود
شوقاً كالوحام

سوف أغريكم ولكن
بأغراء سليم

للتمتع بوداد الرب
ينبوع الهيام

وتناسوني إذا شئتم
ولا تنسوا الرحيم

فإذا بات بذكراكم ذكرتوني
على طول الدوام!

والآن.. فلنستذكر الماضي البعيد
فالدكري تطرب الإحساس كالنشيذ..



هيا نطوي للوراء أعواماً طويلة
ونعود بالذكري إلى عهد الطفولة

يوم كنا نملأ الجو ابتساماً وحبوراً
ونسير في حقول

رشتها الفجر رذاذاً لأولويماً
مازج الحسن عبيراً!

كانت الوادي وما زالت وهاتيك الدروب
يوم سرنا وتبادلنا أحاديث الغروب

وسمعنا الطير يشدو
ورأينا الطفل يعدو

وغرسنا الشوق في فصل الشتاء
حول كومات من الجمر بجو من رضاء

نَشْرَبُ الشَّايَ وَنَصْغِي لِلْحَايَا
نَقْرَأُ تِلْكَ الرَّوَايَةَ

وَيَطْوِلُ اللَّيْلُ مِنْ ثَمَّ يُوَافِينَا الْكُرَى
فَنَنَامُ بَعْدَمَا الْأَمْنُ إِلَى الْقَلْبِ سَرَى

تِلْكَ أَيَّامٌ سَعِيدَةٌ
هَلْ تَعُودُ يَا تَرَى!؟

وَالآنَ أَهْدِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ
لِمَنْ لَهُمْ مَوَدَّةٌ فِي ذَاتِي

تَحِيَّةٌ مِنْ مَنبَعِ أَعْمَاقِي
وَفِيهَا نَبْضُ الْخَافِقِ الْخَافِقِ..

حَفِظَ اللَّهُ الْعَشِيرَةَ
ذَاتِ الْمَزَايَا النَّضِيرَةَ

وَأَدَامَ الْوَفْقَ وَالْتَوْفِيقَ
أَنْهَاراً غَزِيرَةَ

لَتَنْظُلَ أَسْرَةً يَكْلُوهَا الْبَارِي
وَيُرْعَاهَا صَغِيرًا وَكَبِيرًا

وَيُظِلُّ الشَّمْلُ مَلْتَمًا
عَلَى طَيْبِ السَّرِيرَةِ

فَفِي التَّلَاقِي يَقِينُ
وَفِي التَّفَرُّقِ حِيرَةٌ

وَفِي التَّالْفِ خَيْرٌ
لِمَنْ يَحْبُدُّ خَيْرًا

وَفِي التَّعَاضِدِ عِزْمٌ
وَفِي الْخَذْلَانِ مَرَارَةٌ

وَفِي التَّوَافِقِ رِيحٌ
وَفِي الشِّقَاقِ خَسَارَةٌ

فَلتحتفظُ بالثوابتُ
ولتكن لها منارة

ولتبقَ طوداً وطيداً
صامداً مثل الحجارَةِ

لقد مشينا طويلاً
على دروبٍ عسيرةٍ

وواجهتنا صعابٌ
وتدبرنا أمورا

لنا في التوحيدِ وهجٌ
يظلُّ دوماً منيراً

يتحدى زرعَ الرياحِ
يبدد الديجورا

إنَّ في الباشا افتخاراً
وعزةً وشعارا

وفي الريانِ عقولٌ
راجحةٌ وكبيرةٌ

وفي الأردنِ نشامي
نفوسُهُم مستنيرةٌ

يُحسنونَ تصريفَ الأمورِ
بإدراكِ البصيرةِ

فهُم ما زالوا نبراساً
وملحاً وخميرةٌ

هُم للباطنِ حرزٌ
وللحكمةِ نخيرةٌ

حفظَ المولى العشيرةُ
وليكن هاديها دوماً
وليديم لها نصيراً ومجيراً

والسلام عليكم

محمود عباس مسعود
الولايات المتحدة

